المحاضرة الخامسة

النظرية البنائية الوظيفية (المفاهيم– تطبيقاتها السوسيوتربوية).

أهدافها:

– تعريف الطالب بأهم المفاهيم والمصطلحات النظرية البنائية الوظيفية.

– تعريف الطالب بأهم القضايا التي طرحتها وناقشتها النظرية البنائية الوظيفية في علم اجتماع التربية، من خلال اسهامات رواد علم اجتماع التربية (دوركايم– اوجست كونت...الخ).

– محاولة الوصول بالطالب الى تقديم تقييم عام للنظرية، أي فيما أصبت وساهمت وفيما أخفقت وأغفلت في دراسة قضايا هامة.

1– المفاهيم السائدة في النظرية:

– **البنية الوظيفية:** وتشير إلى أن المجتمع كالعضو البيولوجي يتكون من مجموعة من الأجهزة والعناصر، لكل منها وظيفة محددة يؤديها من خلال تفاعله مع غيره من العناصر والأجهزة أو العضو البيولوجي كلا متكاملا، مثال ذلك أن المجتمع مثل جسم الإنسان ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية كأجهزة الجسم التنفسي والهضمي...إلخ وكل منها يعمل من خلال تفاعله مع النظم الأخرى، وليست له قيمة أو أهمية بمجرد خروجه منها.

– **التكاملية:** ويشير إلى أن هذه العناصر الأخرى ويؤثر فيها ويتأثر بها، وتعمل جميعها في اتساق وتعاون سعيا لاستمرار النظام المجتمعي الشامل وتماسكه.

– **الثبات:** ويشير إلى أنه لا يوجد مجتمع ثابت تماما، وأن التغير ولو تم في داخل المجتمع نفسه أو من خارجه، ويؤكد أنصار هذا الاتجاه على القوى التي تساعد على ثبات المجتمع أكثر من القوى التي تؤدي إلى تغييره جذريا، أما التغيير الإصلاحي المتدرج فيرحب به أنصار هذا الاتجاه.

– **التماسك:** ويشير إلى أن كل مجتمع رأيا كان بسيطا أو مركبا، بدائيا أو متقدما فحكمة الافتراضات المشتركة كالعقائد والقيم والمبادئ العامة التي تحافظ على تماسكه واستمراريته والتي من دونها من المستحيل أن يكون هناك مجتمع، ويتم غرس هذه العقائد والقيم والمبادئ في شخصيات النشء عن طريق عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي التي تحدث في الأسرة والمدرسة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية.

– **لوم الضحية:** يرى أنصار هذا الاتجاه أن المجتمع أو النظام موجود قبل ظهور الفرد الذي يولد فيه، وأن العلاقة بينهما يجب أن تكون علاقة إيجابية، وإذا حدثت مشكلة بين الفرد والمجتمع، فإن أسبابها ترجع في الأساس إلى الفرد وليس المجتمع أو النظام ذلك لأن النظام دائما على حق وعلى الفرد أن يسايره في عاداته وقيمه ومادته، وإذ حدث وخرج الفرد على هذه القيم والمبادئ فيطلق عليه لقب منحرف، وإن وظيفة النظام أن يعيد هذا المنحرف إلى مظلمة المجتمع عن طريق العقاب والجزاءات وتعتمد وجهة نظر هذا الاتجاه على النظريات البيولوجية(جلال غربول السناد).

2–تطبيقاتهاالسوسيوتربوية:

وفيما يخص التربية والنظام التعليمي، فيقر أصحاب هذا الاتجاه على اعتبار التربية نظام اجتماعي يتفاعل مع نظم ومؤسسات المجتمع الأخرى، أي يؤثر فيها ويتأثر بها، كما ينظرونلطبيعة المؤسسات التربوية كأنساق اجتماعية كلية تتكون من أجزاء متكاملةتعمل من أجل تحقيق أهداف تربوية في المجتمع للحفاظ على توازنه واستقراره.

ويعتبرونها «أداة مهمة لتحقيق استقرار المجتمع، فالمدرسة نظام معياري فضلا عن كونها وكالة تتولى نقل معايير السلوك الاجتماعي السائدة في المجتمع الكبير إلى الأجيال القادمة. كما أنها تعمل على تكوين المهارات وفق تقسيم متخصص للعمل يقوم على الانتقاء وعلى معايير الجدارة والاستحقاق، كما تساعد على خلق مجتمع طبقي مفتوح ومرن تتحدد فيه المكانة الاجتماعية للأفراد وفقا لما يملكونه من مواهب وقدرات، ومن ثم تتاح لهم فرص واسعة ومتكافئة في عملية الحراك الاجتماعي في كل اتجاه داخل طبقات المجتمع، ويتم ذلك

من خلال ترسيخ قيم النظام الرأسمالي، وتأتي في مقدمتها قيم الإنجاز وتكافؤ الفرص**(سامي محمد النجار)**.

وفي هذا المنحى يرى دوركايمفي سياق وصفه للعملية التربويةبأنهاالوضعية التي يتم عبرها انتقال الكائن الإنساني من حالته البيولوجية إلى حالته الاجتماعية الثقافية، وذلك بموجب نسق من الأفكار والعادات والقيم والتقاليد التي يستنبطها الأفراد في إطار عدد من المؤسسات الاجتماعية وبعبارة أخرى تتمثل التنشئة الاجتماعية عند دوركهايمفي عملية إزاحة الجانب البيولوجي من نفسية الطفل لصالح نماذج من السلوك الاجتماعي المنظم ...إن "التربيةهي العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على التي لم ترشد بعد وذلك من أجل الحياة الاجتماعية " وفي معرض أخر يقول دوركهايم "إن الإنسان على غرار ما حددته الطبيعة بل الإنسان على نحو ما يريده المجتمع والتربية هي قبل كل شيء الوسيلة التي يعتمدها المجتمع في تجديد شروط حياته **(عبد الله شمت المجيدل)**

وفي شأن أخر ينظر دوركايم إلى الصف المدرسي بوصفه مجتمع مصغرا ومن أجل دراسة هذا المجتمع المصغر يطبق دوركهايم مبادئ تحليل المجتمع الكبير. فالوظيفة الأساسية للمؤسسة التربوية هي التربية الأخلاقية. وفي هذا السياق يتوجب على المدرسة أن تؤكد النظام بواسطة السلطة بوصفها جوهرا أخلاقيا، فالنظام هو الفضيلة الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية. ومن غير الأخلاق التي تؤسس للنظام فإن الإنسان لن يجد ما يكبح رغباته الذاتية الداخلية والخارجية وسيشكل ذلك بالطبع مصدر الفوضى والنزاع والصراع ولا سيما في المجتمعات الديمقراطية. وانطلاقا من ذلك يترتب على الطفل أن يتعلم الخضوع إلى النظام والمعايير الأخلاقية **(على أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب،)**

كما يرى أن التجانس بين أعضاء المجتمع من متطلبات بقاءه واستمراره، وهذا بالتأكيد يأتي من خلال عرض تلك التمثيلات التي تتطلبهما الحياة الجمعية، وهذه من أهم وظائف المدرسة. هذه الأخيرة التي يرى أنها في المجتمعات الصناعية المعقدة تقوم" بوظائف لا

يمكن أن تقوم بها الأسرة ولا جماعات القرناء، فإذا كانت العضوية في الأسرة تعتمد على علاقات القرابة فان العضوية في المجتمع ككل، لا تعتمد على تلك الأسسفالأفراد يتعاونون وليس من خلال القرابة(الأصدقاء) إذ تقوم المدرسة كما يشير دوركهايم بإكساب تلك المهارات اللازمة للحياة الجمعية. ففي المدرسة يتفاعل الطفل مع أعضاء آخرين في المجتمع في ظل ضوء قواعد المجتمع الموجود **(حمدي على أحمد)**ومن خلال هذا التفاعل يتعلم المتعلم حدود التعامل مع الآخرين. وبالتالي تنمو لديه عادة الضبطالذاتي.

"وتعتبر قضية العلاقة بين المدرس والتلميذ، من القضايا التربوية الهامة التي تناولها بوضوح، مستخدما مدخله السوسيولوجي التربوي المميز. ولقد ناقش هذه القضية في إطار تحليله للوظيفة النقدية للتربية والعملية التعليمية، خاصة وانه تصور أن الظاهرة التربوية ما هي إلا شيء اجتماعي أكثر منها شيء فردي أو شخصي"**(عبد الله عبد الرحمن، مرجع سابق)**. تحدث نتيجة للتفاعل الذي يحدث داخل المدرسة، بين مختلف أطرافها ويكون لها تأثير على التلميذ خاصة بالنسبة لعلاقته مع مدرسه.

ومن القضايا التربوية ذات الوحدات الميكروسكوبية التحليلية الصغرى التي اهتم بها ما يعرف بسوسيولوجيا المنهج والتي ظهرت في كتابه "تطور المنهج في فرنسا" والتي تبرز بوضوح إسهامات هذا العالم في مجال علم اجتماع التربية الجديد على وجه الخصوصحيث اهتم دوركايم بدراسة مشكلات التربية والتعليم في فرنسا ولاسيما قضية المنهج، ونوعية المقررات الدراسية التي تعطى للتلاميذ والطلاب سواء في المدارس أو الجامعات وعالج دور كايم من خلال اهتماماته بتحليل نوعية العلاقة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع والمقررات والتلاميذ ونوعية المكاسب الفردية التي يحصل عليها التلاميذ من خلال دراسة المقررات والمناهج الدراسية، وما هي نوعية الاستفادة بالنسبة للمجتمع من دراسة التلاميذ أو الطلاب لمقررات معينة **(عبد الله عبد الرحمن، مرجع سابق)**

وفي منحى أخر نجد أن روبرت ميرتون (1968) فرقة تفرقة مهمة بين الوظائف الظاهرة والكامنة فالوظائف الظاهرة للمؤسساتهي الوظائف الصريحة والمعلنة والمقصودة. وتشمل هذه الوظائف الأهمية المقصودة والمعروفة مثل دور الجامعة في ضمان التنافس والامتياز الأكاديميين. وعلى العكس من ذلك لجانب معين في المجتمع تكون الوظائف الكامنة وظائف غير مقصودة وغير معلنة، وتكس أهدافا خفية للمؤسسة. ومن الوظائف الكامنة للجامعة الحد من البطالة، كما تؤدي الجامعة وظيفة كامنة أخرى كمكان يلتقي فيه الأشخاص الذين يبحثون عن قرين يرتبطون به عن طريق الزواج(**مصطفى خلف عبود، 2016**).

أما بارسونز فيرى أن قضية التعليم العالي والتي تناولها في إطار تحليلاته الفرعية المتخصصة وهي سوسيولوجيا التعليم الجامعي وجاءت اهتماماته هاته في إطار تحليله لمشكلات النظام التعليمي أو التربوي. حيث اعتبر الجامعة التنظيم الأم، الذي يمد جميع التنظيمات والمؤسسات الإنتاجية والخدمية بالفئات المهنية على مختف تخصصاتهم بالكوادر والمهارات البشرية اللازمة لقوى العمل والإنتاج. كما تصور أيضا، أن الجامعة، هي التنظيم المكون للمركب التنظيمي لتنظيمات المجتمع الحديث، وعن طريق دراسة الجامعة يمكن التعرف بوضوح على عمليات التغير التنظيمي والتغير المهني.

حيث أشار الى أن المجتمع الحديث مجتمع متخصص يعتمد على الخبرة المتخصصة لتحقيق أهداف التنمية، وبذلك فهو في حاجة دائمة إلى موارد بشرية مؤهلة للعمل في زمن المهن المتخصصة، ويعتبر التعليم العالي مطلبا أساسيا لعملية التنمية المستديمة في المجتمع الحديث، ويرى أن النسق التربوي يقع على عاتقه تحديد مستقبل المتعلمين من حيث مواصلة الدراسة على أساس تحصيلهم واستعداداتهم، بحيث يكون إعدادهم المهني المستقبلي متوافقا مع قدراتهم واستعداداتهم واهتماماتهم، فمنذ المرحلة الابتدائية يشجع المتعلم على الإجادة في الأداء على أساس دافعه وقدرته على التحصيل. وتحدد إعداد شامل للطفل، يقيم الطفل في هذه المرحلة على أسس موضوعية بصرف النظر

عن خصائصه الشخصية أو العرقية. واعتبر بارسونز كلا من أسرة التلميذ والمعلم مسؤولا عن مساعدة التلميذ على إدراك أسس تقويم الأداء في سن مبكرة ليصبح التحصيل والإجادة في الأداء موجها لسلوكه **(جلال غربول السناد، 2015)**.

وفي هذا الشأن يحثتالكوت بارسونزعلى أهميةالتساند الوظيفي بين الاسرة والمدرسة في"عملية التنشئة الاجتماعية ، والتكامل الوظيفي بين المراحل التعليمية كأنساق فرعية من النسق التربوي، يؤكد أهمية التساند الوظيفي بين الأنساق الاجتماعية لاستقرار المجتمع كنسق كلي وتوازنه وأدائه لوظائفه، فالنسق التربوي من أهم وظائفه إعداد أفراد المجتمعاجتماعيا ومعرفيا ومهنيا لممارسة أدوارهم الاجتماعية في المجتمع بالكفاءة المتوقعة منهم في ضوء متطلبات عملية التنمية المستديمة وطبيعة العصر، فالتأكيد على الاهتمام بقدرات المتعلم واستعداده في سن مبكرة وتشجيعه على التحصيلحسب المعايير المحددة للأداء في سن مبكرة ينمي لديه الدافع للتحصيل الذي يصبحموجها لسلوكه ويزيد من دافعته ورغبته في الإجادة في الأداء مما يعزز ويدعم سلوكه في الاكتساب المعرفي**(جلال غربول السناد، مرجع سابق)**.

وعليه ومن خلال ما طرحه يظهر أن النسق التربوي يقوم بوظيفتين أساسيتين، تتمثل الأولى في الإعداد الاجتماعي للأفراد، والثانية في إعدادهم الأكاديمي والمهني لهم.

ويرى أن الدور الاجتماعي للأفراد يتحدد من خلال المواقف الاجتماعية ونوعية الوظيفة والدور والسلوك أو الأفعال المتوقعة، والتي سماها بالمتطلبات الوظيفية للنسق الاجتماعي وهي:

- المحافظة على النمط.

-التفاعل الداخلي.

- تحقيق الهدف.

– التكيف أو المواءمة.

ويرى تالكوت بارسونز أن المجتمع يتكون من مجموعة"من الأنساقأو النظم العامة مثل القرابة، والدين، والسياسية، والاقتصاد والتربية، وكل نظام عام يتكون من نظم فرعية مثل الاسرة، والزواج والمدارس والمنظمات الدينية والمنظمات الصناعية، ويتألف كل نظام فرعي بدوره، من مجموعة من الأدوار هي الأنماط المتوقعة للسلوك، فالأم والأب، والزوجة، والزوج والتلميذ والمدرس، والموظف، والعامل، جميعها أمثلة لهذه الأدوار والمعايير النوعية التي تحدد التزامات ومسئوليات الأدوار، وهي ترتكز على نسق القيم المحوري الذي يميز مجتمعا من المجتمعات، والمجتمعات أنساق مختلفة للقيم وتكون هذه الأنساق مسئولة بدورها عن ظهور أنماط مختلفة للبناء الاجتماعي**(عبد الله شلبي، 2012)**.

وفي نفس الشأنناقش تالكوت بارسونز طبقة المدرسة كنسق اجتماعي، في إطار نظريته عن النسق الاجتماعي، حيث يحلل نوعية الثقافة المدرسية، واختلافها باختلاف الانتماء الاجتماعي للتلاميذ، خاصة وان المدرسة وسط اجتماعي ونسق تفاعلي يترجم بوضوح نوعية سلوكيات أفراد، نتيجة لما يحملونه من خصائص سلوكية وثقافية واجتماعية واقتصادية، وهذا ما يجعل تلك الثقافة تختلف من مدرسة إلى أخرى نتيجة للبيئة المجتمعية التي تعيش فيها المدرسة.

كما ناقش قضية المدرسة كنسق اجتماعي في إطار نظريته عن الفعل الاجتماعي التي تعتبر امتداد لتصورات العالم الألماني الشهير ماكس فيبر، من خلال تحليله لنوعية الثقافة المدرسية وتحديدها حسب علاقات وتفاعل الفرد مع جماعة الأقران وكذا مع المدرسين والإدارة المدرسية

وهذا ما جعل بارسونز يشير إلى عدد من الأفعال التي تتحدد داخل الثقافة المدرسية وهي **(عبد الله عبد محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التربية الحديث "النشأة التطورية والمداخل النظرية"، مرجع سابق):**

– **الفعل الأدائي:** والذي يعتبر الهدف المستقبلي للتلميذ، ويتشكل حسب اكتسابهم للسلوك بالوسائل والأنشطة وأنماط المعرفة والعلم والعملية التدريسية بالمدرسة، والتي يتم عن طريقها تكون اتجاهات ومهارات وميول تخصصية لاكتساب مهنهم المستقبلية...

– **الفعل التعبيري،** ويعتبر الهدف الاسمي للتلاميذ أو الطلاب ومحاولتهم إشباع حاجاتهم التي يكتسبونها سواء عن طريق التقليد أو التعليم. وكثيرا ما تظهر الأنشطة المدرسية وتعبر عن أفعال تعبيرية واضحة الأهداف وتعكس القدرات والكفاءات الفردية للتلميذ.

– **الفعل المعياري أو الأخلاقي،** ويهدف هذا الفعل أساسا إلى تحقيق موع من التضامن والمشاركة في الأفكار والقيم والأخلاق والمثل والمعايير والسلوكيات العام، والمواقف والاتجاهات بين التلاميذ. وكيفية تدريبهم على إصدار الأحكام التعليمية والأخلاقية على الأفعال والسلوكيات والمواقف سواء كانت سليمة أم غير سليمة، وتحديد نوعيةالجزاءات السلبية والايجابية على هذه الأفعال والسلوكيات داخل إطار الأنشطة المدرسية وداخل الفصول المدرسية، وأيضا في إطار عدد من المناهج والمقررات الدراسية النظرية والعملية.وبإيجاز، أن تحقيق هذه الأنواع الثلاثة السابقة للثقافة المدرسية من شأنها إن تعزز القيم المدرسية وعملية التنشئة الاجتماعية–كما تصور بارسونز–ضرورة تعزيز نوع من التكامل بين هذه الأفعال عن طريق عملية الإرشاد النفسي والتعليمي والأخلاقي والتربوي للتلاميذ، والتنسيق بين تحقيق ثقافة مدرسية سليمة.

3–تقييم النظرية:

كان التفكير الوظيفي يحتل مكنة الصدارة بين التقاليد النظرية في علم الاجتماع لوقت طويل، ولاسيما في الولايات المتحدة، وكان تالكوت بارسونز وربرتميرتون، وقد نهل كلاهما من أفكار دوركايهم، أبرز الداعين إلى هذا التيار، غيرأن الشعبية التي كانت تتمتع بها المدرسة الوظيفية قد مالت إلى الأفول الآونة الأخيرة بعد أن اتضح ما تعانيه من أوجه القصور والثغرات. ومن جملة ما وجه لها من انتقادات أنها تغالي في التشديد على العوامل المؤدية إلى التماسك الاجتماعي على حساب العوامل الأخرى التي تفضي إلى التجزئة والصراع. إن التركيز على نواحي الاستقرار والنظام يعني التقليل من أهمية التقسيمات والتفاوت التي تنشأ في المجتمع على أساس الطبقة والعرق والجنس. كما أن الوظيفيين يميلون إلى التقليل من دور الفعل الاجتماعي الخلاق في المجتمع.ويرى كثير من النقاد أن التحليل الوظيفي يسبغ على بعض المجتمعات صفات اجتماعية لا توجد فيها. ذلك أن الوظيفيين كثيرا ما يقولون إن للمجتمع "حاجات"، وإن له" أهدافا" رغم أن هذه المفاهيم لا تصدق إلا على الأفراد من **البشر (أنتوني غندر، مرجع سابق).**

إضافة إلى:

– أن النظام الاجتماعي ليس فقط كيانا قائما بذاته كما يرى أنصاره، وهذه نظرة ميتافيزيقية، بل إن له عقلا وإرادة.

– يبالغ أنصار هذا الاتجاه في دور التكنولوجيا ويقللون من دور الصراعات الايديولوجية والثقافية في التغير الاجتماعي.

– تأكيد أنصار هذا الاتجاه على عمليات الاختيار والتدريب التقني في المدرسة أدى إلى إهمال مضمون العملية التربوية، ولاسيما العملية التعليمية.

– يبالغ أنصار هذا الاتجاه في الاهتمام باستقرار ووحدة وانسجام النظم الاجتماعية، وإهمال التغير وانعكاساته على النظم والمؤسسات الاجتماعية ومسؤولياتها في المجتمع (جلالغربول السناد، 2015